شرح

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

شرحها

الشيخ/ توفيق الصائغ

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحابته والتابعين.

أمَّا بعد ...

أرى أنه بين يدي هذا المجلس ينبغي أن يُذكر المتكلم وأن يتذكر السامع لما لطلب العلم من فضيلة، غير خافٍ على الجميع أن من أشرف المطالب العالية التي يسعى إليها الناس هو الاشتغال بالعلم؛ ولذلك أول الأوامر الشرعية التي نزلت على نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في بواكير البواكير حين نزل عليه الوحي: أن المولى -جل وعز- قال له: ﴿اقْرَأْ﴾[العلق:١]، وهذه الكلمة جعلت شعار الأمة ودثارها الالتفاف حول الكتابة والقراءة وطلب العلم.

وأهل العلم متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من نوافل العبادات؛ ذلك لما تضافر عندهم من النصوص الشرعية كتابًا وسُنة الدالة على فضل العلم، ولو لم يكن من ذلك إلا إشهاد الله تعالى لهم على أعظم قضيةٍ في الكون، وهي قضية الوحدانية والتوحيد لكفت: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[آل عمران:١٨].

وجعل الخشية مستقرةً في قلوب العالمين العاملين، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨]، وثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أحاديث كثيرة لو لم يكن منها إلا قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العل رضًا بما يصنع»، لكفى.

العالم وطالب العلم يستغفر له كل شيء، الحيتان في بحارها، الطيور في أوكارها، كل هؤلاء يستغفرون لطالب العلم؛ لذلك ينبغي للإنسان دائمًا أن يُذكر نفسه لما للعلم من فضيلة، لاسيما إذا قرأ الإنسان حرص الأئمة والسلف -رحمهم الله تعالى- على ابتذال انفسهم في تحصيل هذا العلم.

عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: «كنت آتي باب أبي بن كعب وهو نائم فأقيل على بابه ينتظر حتى يخرج أو انتظر حتى يخرج آخذ منه الحديث»، وسعيد بن المسيب يقول عن نفسه: "كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد".

والأخبار في هذا كثيرة جدًّا؛ حتى أن الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- ذهب إلى عبد الرزاق الصنعاني فأجر نفسه على أصحاب الحملة أو القافلة فكان يسير معهم على أن يخدمهم، وعلى أن يكون مع الجمالين؛ ولذلك حفظوا للأمة شيئًا كثيرًا، وأورثهم الله بذلك علمًا وذكرًا، والذكر كما يقول شوقي للإنسان: "عمرٌ ثاني".

فينبغي للإنسان دائمًا أن يتذكر هذا الفضل حتى يصبر على تحصيل العلم، والعلم كغيره من المطالب العالية؛ يحتاج إلى صبرٍ كبيرٍ وعظيم، ولذلك قال العبد الصالح للنبي الكريم قال: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ

تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[الكهف٦٧:٦٨]، ولكن من حرص موسى على تحصيل العلم قال: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾[الكهف:٦٩]، فلما تعجل بالسؤال أيضًا استمهله أخرى قال: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾[الكهف:٧٦].

فالعلم يحتاج إلى زاد عظيم جدًّا من الصبر، ونقل الإمام مُسلم في مُقدمته لا يُنال هذا العلم براحة الجسد، يعني كتب الله –سبحانه وتعالى– أن هذا العلم لا يُنال بالراحة، لابد أن يكون هناك مشقة في تحصيله، وبقدر ما يبدو للإنسان من المشقة بقدر ما يتحصل له من العلم، ومن لم تكن له بدايةً مُحرقة لم تكن له نهايةً مُشرقة؛ ولذلك ديدن طلاب العلم دائمًا:

لأسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أوْ أدرك المُنى ... فَما انقادَت الآمالُ إلا لصابرِ

أمطري سماء سرنديبَ ... وَفِيضي آبارَ تكرورَ تِبْرًا

أنَا إنْ عِشْتُ لَسْتُ أعْدَمُ قُوتاً ... وَإذا متّ لَسْتُ أعْدَمُ قَبْرًا

همتي همَّةُ الملوكِ ونفسي ... نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرًا

ومن أعظم ما يُستعان به على تحصيل العلم: كثرة الدعاء، ومن أدعية النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– المأثورة المحفوظة: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا**».

وكثيرًا ما كان شيخ الإسلام يكرر في دعائه فيقول: "**اللهم يا مُعلم إبراهيم علمني، ويا مُفهم سليمان فهمني**"، نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقني وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يزودنا بزاد الصبر على تحصيله إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أردت في هذا المجلس أو في المجلس الذي قبله على وجه التحقيق، أردت أن أجمع ما تناثر عِقدُه من كلام شيخ الإسلام في بيان العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السُنة والجماعة،...

نعم أقول إذا صرنا على طريقة الشُراح في تفسير كل كلمةٍ من المتن فسيأخذُ وقتًا طويلًا، وسيخرجُ بنا الحديث عن المراد من هذه الرسالة؛ لأن المراد من هذه الرسالة بيان عقيدة أهل السنُة والجماعة لاسيما فيما يتعلق بباب الأسماء

والصفات، فإذا ما جئنا لنشرح كل حديثٍ على حِدة، وكل آيةٍ على حدة؛ فإن ذكر ما ذكره أهل العلم في الآية والحديث قد يخرُجُ بنا عن المضمون، ونغيب عن الهدف الذي لأجله خطت أنامل شيخ الإسلام هذه الرسالة.

لذلك ارتأيت أن نقرأ قطعةً من المتن ثم نُعلق عليها على مقاصد الواسطية الموجودة في هذا المتن، وسأبدأ من حيث قال -رحمه الله تعالى- في العقيدة الواسطية قال بعد أن ذكر أركان الإيمان واعتقاد الفرقة الناجية المنصورة.

فذكر أركان الإيمان الستة التي مررنا عليها قال -رحمه الله تعالى-: (**وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ، بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى-: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: ١١]، فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ، ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ**).

هذه الجملة من كلام شيخ الإسلام أراد منها بيان خُلاصة مُعتقد أهل السُنة والجماعة؛ وخلاصة معتقدهم أنهم يثبتون لله من الصفات ما أثبته لنفسه في كتابه، وما أثبته له نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في صحيح سُنته؛ (**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ**)؛ هذه هي القاعدة في هذا التوحيد الأعظم أو هذا التوحيد العظيم توحيد الأسماء والصفات، اعتقاد أهل السُنة والجماعة أنهم يثبتون ما أثبت الله لنفسه من الصفات بل ومن الأسماء كذلك، وما أثبته له نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في صحيح سُنته.

وهنا قيد مهم حين نقول: في صحيح سنته؛ لأن السنة التي لم تثبت عنه -عليه الصلاة والسلام- لا ينبني عليها عمل في الفروع، فمن باب أولى أنه لا ينبني عليها عملٌ في باب الاعتقاد الذي هو الأصل.

إذًا يثبتون ما أثبت الله لنفسه في كتابه من الأسماء والصفات، وما ثبت في صحيح سُنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- من الأسماء والصفات، **لكن هذا الإثبات**: سالمٌ عن التحريف، سالمٌ عن التعطيل، سالمٌ عن التكييف، سالمٌ عن التمثيل.

ولو لم يقع أهل البدع في التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل لكفانا أن نقول: أن توحيد الأسماء والصفات هو إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ- كان هذا السطر كافيًا في بيان مُعتقد أهل السُنة والجماعة.

لكن لما أحدث المبتدعة ما أحدثوا من التعطيل والتشبيه والتحريف والتكييف والإلحاد اضطر أهل السنة أن يذكروا، أن يذكروا —-رحمهم الله تعالى- هذه القيود، إذًا نستفيد أيضًا من هذه القطعة من المتن نستفيد أن مصدر التلقي عند أهل السُنة مصدران اثنان في باب توحيد الأسماء والصفات:

- **المصدر الأول**: القرآن، الكتاب العزيز الذي: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾[فصلت:٤٢]، وهو كلامُ الله عن نفسه وهو أعرفُ العارفين بنفسه -سبحانه وتعالى-.

- **والمصدر الثاني**: صحيحُ سنة النبي -عليه الصلاة والسلام-.

وعليه فليس ثمة مصادر أخرى يُمكن الوصول بها إلى معرفة الأسماء والصفات؛ إذ الأسماء والصفات لا تُعرف من طريق القياس، ولا تُعرف من طريق العقل، ولا تعرف من طريق يعني كلام الصحابة، ولا إجماع أهل المدينة، ولا غير ذلك من الأصول التي يبني عليها بعضُ الأئمة مذاهبهم فيما يتعلق بالمسائل الفقهية.

يعني حين نقول مثلًا: مصادر التلقي أو معرفة الأحكام الشرعية، فيما يتعلق بالعبادات يمكن أن نقول: الكتاب، والسُنة، والإجماع، والقياس، وعمل أهل المدينة عند البعض، و...إلى آخره؛ هذا لا ينطبق على باب العقائد، باب الأسماء والصفات؛ لأن الله غيب وهذا الغيب لا يُمكن الوصول إليه إلا من الوحي كتابًا كان أو سُنة.

إذًا هذه القطعة من كلام شيخ الإسلام يؤخذ منها:

- اعتقاد أهل السُنة أولًا.
- ثانيًا بيان مصادر التلقي عند أهل السُنة لتأصيل هذه العقيدة وترسيخها، وهما الكتاب والسنة كما ذكرت.
- وأيضًا يؤخذ من هذه القطعة أن الإيمان بالصفات يقتضي بأن لهذه الصفات معاني، صفات الله تعالى التي أثبتناها بناءً على ما أثبته لنفسه، وما أثبته له نبيُه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

هذه الصفات لها معانٍ أصول هذه المعاني معلومةٌ لدينا، لا يخفى الكرم على أي عاقل، ولا يخفى الحياة أو معنى الحياة على أي عاقل، ولا يخفى معنى القوة والقُدرة إلى آخره؛ أصول هذه الصفات وأصول معانيها معلومٌ؛ وعليه فإن الله تعالى حين وصف به نفسه لم يصف نفسه بكلامٍ مُجرد ليس تحته معنى، بل تحت هذا الكلام معنى؛ فالإيمان بالصفات يقتضي الإيمان بمعاني هذه الصفات.

الكريم: تدل على صفة الكرم.

الحيَّ: تدل على صفة الحياء.

ستير: تدل على صفة الستر.

الحي: تدل على صفة الحياة.

القوي: تدل على صفة القوة.

العليم: تدل على صفة العلم، وهكذا.

فأصول معاني الصفات معلومة، وعليه فنقول: إن نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار، ومجهولة باعتبار، معلومةٌ باعتبار أصل المعنى؛ فإنه لا يخفى، ومجهولةٌ باعتبارٍ آخر وهو الكيفية التي لا يعلمها أحد، إذ لم يضطلعُ أحد على هذه الكيفية حتى يعلمها.

إذًا عقيدة أهل السُنة في الأسماء: في الصفات أنهم يثبتون لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

عقيدتهم في الصفات كذلك أنهم يعتقدون أن مصدر التلقي فيها الكتاب والسُنة، ولا يعدونهم أبدًا.

من عقيدة أهل السنة في هذا الباب أيضًا: الإيمان بأن هذه الصفات لها معاني، وأن هذه المعاني معناها المجمل معلوم للجميع، وقلت لكم في السطر الأخير: أن نصوص الصفات معلومةٌ باعتبار، مجهولةٌ باعتبار، معلومةٌ باعتبار أصل المعنى، مجهولةٌ باعتبار الكيفية؛ فإن الكيفية غير معلومة.

ثم زاد بعد ذلك أهل العلم قولهم: **(من غير تحريفٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تعطيل)**، فما هو التحريف؟

التحريف هو التغيير: تغيير اللفظ عن ظاهره ومدلوله، وهو قسمان:

- تحريف اللفظ عن ظاهره.
- أو تحريف المعنى وهو صرفه عن حقيقته.

إذًا أعود فأقول: إن التحريف منفيٌ عن صفات الله لا نُحرفها، أهل البدع يُحرفون، ما هو هذا التحريف الذي نفيناه عن الصفات؟ معناه تغيير اللفظ عن ظاهره ومدلوله، التحريف: تغيير اللفظ عن ظاهره ومدلوله، وهذا التحريف له قسمان:

- إما أن يقع على اللفظ.
- وإما أن يقع على المعنى.

فالتحريف اللفظي: هو صرفُ اللفظ عن ظاهره مثل ما قالت المبتدعة في قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[طه:٥]، قالوا: استوى هنا بمعنى استولى، واستدلوا لذلك ببيتٍ مصنوع:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

فتحريف كلمة استوى إلى استولى؛ هذا صرفٌ للفظ أو تغييرٌ للفظ عن ظاهره ومدلوله، وهناك تحريف آخر وهو التحريف في المعنى، يعني المبتدعة قد يُثبتون النص الدال على صفة من صفات الله تعالى؛ قد يثبتون لفظه لكنهم يتطرقون للتحريف في معناه، والتحريف في المعنى معناه صرفه عن حقيقته مثل ماذا؟

مثل: الرحمن الرحيم؛ نحن نعتقد أن: اسم الله تعالى الرحمن، واسم الله الرحيم ينطوي على صفة الرحمة؛ وهذه الصفة معلومة من حيث المعنى لنا، **المبتدعة يقولون**: لا، لا يوصف الله بالرحمة لماذا؟ قالوا: لأن وصف الله بالرحمة دائمًا انحرافهم يأتي من هنا، قالوا: لأن وصف الله بالرحمة يقتضي الضعف والانكسار.

لماذا قلتم: إن وصف الرحمة بالنسبة لله يقتضي الضعف والانكسار؟ قالوا: لأن الرحمة في الأصل رقة، وهذه الرقة لا تكون إلا عن ضعفٍ وانكسار، وصدق أهل العلم حين قالوا: إن كل مُحرفٍ قد وقع في التشبيه والتمثيل، ثم حمله ذلك على إما أن يُعطل، وإما أن يُحرف.

كيف وقع في التمثيل؟ لما قال: إن الرحمة هي الرقة، والرقة تقتضي الانكسار؛ هذا يليق بالمخلوق، لكن ليس بالضرورة أنها رحمة الخالق؛ فالاشتراك اللفظي في صفة الرحمة والعلم والحياة بين المخلوق والخالق؛ هذا الاشتراك اللفظي في أصل المعنى؛ لا يقتضي أن يكون اشتراكًا من كل وجه، ليس بالضرورة أن المخلوق صورة طبق الأصل عن الخالق أو أن الخالق تعالى الله صورة طبق الأصل عن المخلوق حاشى!

إذا كان أصلُ هذا المعنى مُتفق في المخلوقين أنفسهم وحقيقته مُختلفة في المخلوقين؛ فكيف الحال بالخالق والمخلوق، يعني الملك كريم، والفقير كريم، يعني الفقير الذي ليس عنده إلا كسرة الخُبز قد يقسمُ نصف هذه الكسرة؛ فيتبرع بنصف ماله، أو بنصف ما يملك، هل كرم الغني مثل كرم الفقير ؟! هل سمع النملة مثل سمع الفيل؟! هل بصر الحدأة أو الصقر مثل بصر الإنسان؟!

إذا كانت هذه الصفة تختلف في المخلوقين بعضهم البعض؛ فكيف باختلافها بين الخالق والمخلوق مع البون الشاسع الذي بينهما؛ إذًا التحريف إما أن يقع على اللفظ فيُصرف اللفظ عن ظاهره: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[طه:٥]، كلمة استوى التي تدل على صفة الاستواء يُحرفون لفظها فيجعلونها استولى.

وإما أن يقع التحريف على المعنى فيبقى اللفظ سالما كما هو، لكنهم يتطرقون إلى تحريف المعنى، قالوا: الرحمة انكسار ورقة، إذًا أين تذهبون بالنصوص الدالة على صفة الرحمة؟! قالوا: "نُحرف المعنى"، إلى أي شيءٍ تُحرفونه؟ قالوا: إلى أن يكون معنى الرحمة "إرادة الإنعام"، والغضب؟ قالوا: "إرادة الانتقام".

هم طبعًا يثبتون لله سبع صفات، من هذه الصفات: صفة الإرادة، فكل صفةٍ يؤولونها بعد ذلك يُضيفونها إلى الإرادة؛ يتسق عندهم أنهم أثبتوا لله الإرادة ونسوا أنهم نفوا عن الله –سبحانه وتعالى– ما أثبته لنفسه من الصفات الأخرى.

إذًا معاشر أهل السُنة نُثبت الصفات لله من غير تحريف؛ فلا نقع في تحريف اللفظ، ولا نقع في تحريف المعنى، وكذلك لا نُعطل الصفات؛ وتعطيل الصفات معنى إخلاؤها، يعني حين يقول المبتدع: "إن السميع تقتضي صفة

السمع"، يثبتون له سمعًا، يعني يقولون: "سميع بلا سمع، بصير بلا بصر"، وهنا يكونون قد عطلوا الله -سبحانه وتعالى-.

والتعطيل هو الإخلاء، لما يخلون الله عن صفاته التي أثبتها لنفسه؛ فهذا هو التعطيل، أهل السُنة يُثبتون ولا يُعطلون، المبتدعة يُعطلون ولا يُثبتون، بعضهم يُعطل الله عن كل الصفات؛ يجعله هو والعدم سواء، وبعضهم يُثبت له فقط سبع صفات ويُعطله عن باقي الصفات التي وردت في الكتاب وفي صحيح السُنة.

إذًا عندنا إثبات الصفات من غير تحريف، ومن غير تعطيل، ومن غير تكييف، من غير أن نعتقد كيفيةً مُعينة في أذهاننا؛ لأن الله لا يقوم بالأذهان، كيف يقوم بالأذهان شيءٌ لم تراه! لا يُمكن؛ فالكيفية لا يُمكن إدراكُها ولذلك أهل العلم يُبتون الصفة بدون الكيفية، وإلا فلماذا غضب الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- حين جاءه السائل فقال: "يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، كيف استوى؟ غضب لأنه سأله عن ما لا سبيل إلى معرفته.

الله -سبحانه وتعالى- غيب؛ هذا الغيب لا يُمكن أن نعاطى معه إلا وفق نص من: (عالم السر وأخفى﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[طه:٧])، من: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾[الرعد:٩]، وهذا النص إما أن يكون كتابًا، وإما أن يكون سُنة؛ لأن السُنة ﴿وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٤]، فلا يُحدثنا عن الله إلا الله -سبحانه وتعالى-، أما العقل، القياس، ال...كل هذه مُطرحة لأنه لا يُمكن أن يحدثنا أحدٌ عن الله إلا الله -سبحانه وتعالى-.

فربُنا حدثنا عن استوائه؛ ولم يُحدثنا عن كيفية استوائه، حدثنا عن سمعه ولم يحدثنا عن كيفية سمعه، فوجب التوقف إلى هذا الحد الذي حدثنا الله -سبحانه وتعالى- عنه؛ لأنه لا مجال للعقل في تصور كيفية أو إلى أخره.

كذلك أهل السُنة لا يمثلون الله لخلقه، حين يُثبتون له السمع؛ فإنهم يعتقدون أنه سميع، أقول: أهل السُنة حين يثبتون لله سمعًا فإنهم يثبتون له السمع دون أن يمثلوا هذا السمع بسمع غيره، دون أن يُشبهوا هذا السمع بسمع غيره.

كذلك لله وجه لكنه لا يُماثل وجه المخلوقين، لله -سبحانه وتعالى- حياة لا تشابه ولا تُماثل حياة المخلوقين؛ فالصفات التي نُثبتها صفاتٌ بلا تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيل؛ قاعدة أهل السُنة في ذلك كُله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، فالله أثبت لنفسه السمع والبصر، ونفى عن نفسه الشبيه والمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١]،

قال -رحمه الله تعالى-: (**فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ، ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهَ وَتَعَالَى؛ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ**).

مرت معنا: التحريف، والتكييف، والتمثيل، والتشبيه إلى آخر التعطيل؛ لكن لم يمر معنا الإلحاد، **الإلحاد في اللغة**: الميل، ابن القيم -رحمه الله تعالى- يقول: "الإلحاد في أسماء الله هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت،

إذًا هو الانحراف، **الإلحاد**: هو الانحراف ومنه سُمي اللحدُ لحدًا، لكن **الإلحاد في أسماء الله أو في صفاته، الإلحاد في أسمائه**: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت، وهذا الإلحاد في الأسماء والصفات له أنواع منها:

- تسمية الأصنام بأسماء الله هذا إلحادٌ في أسمائه؛ سموا اللات من الله، والعُزة: من العزيز.
- من أنواع الإلحاد: تسمية الله بما لا يليق، النصارى سمت المولى -سبحانه وتعالى- أبًا.
- من أنواع الإلحاد: وصفُ الله تعالى بالنقائص، اليهود قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[آل عمران: ١٨١]، وقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة: ٦٤]، هذا كله إلحاد.

إذًا نستطيع أن نقول: أن الإلحاد: هو الميل والانحراف، والعدول بالأسماء والصفات عن حقائقها ومعانيها، وأيضًا مما سبق نستطيع أن نقول: إن تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها يمكن أن يسمى إلحادًا؛ فكل ملحد إذًا أو كل مُعطل مُلحد، وكل مُلحد مُعطل

قال -رحمه الله تعالى-: (**لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ**)، (**لأَنَّهُ**) هذه جاءت بعد بيان مُعتقد أهل السُنة لإثبات الصفات لله بدون تحريف، قال: (**لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ**)، يعني نحن ننفي عنه الشبيه والنظير والمثيل، وننفي عنه التحريف والتعطيل؛ لأنه لا سمي له، لا يوجد أحد يُساميه -سبحانه وتعالى-، لا كفئ له، لا ند له، ولا يُقاسُ بخلقه، فإذا كان الله لا سمي له، ولا كفئ، ولا يُقاسُ بخلقه، فوجب أن ننفي عنه عن صفاته التي أثبتناها بالكتاب والسنة أن ننفي التحريف، والتعطيل والتشبيه، إلى آخره.

(**لاَ سَمِيَّ لَهُ**)، يعني لا نظير له، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥].

(**وَلاَ نِدَّ لهُ**)، يعني لا شبيه له، قال الله تعالى: ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة: ٢٢]؛ لأن الله لا يقاس بخلقه؛ لأن هذا القياس مع الفارق، هذا إله وهذا مألوه، هذا خالق وهذا مخلوق، هذا إله حياته الكاملة، وهذا مخلوق حياته ناقصة؛ فمن قاس الخالق بالمخلوق أبعد جدًّا لأن القياس مع الفارق.

- ثم قال: -يعني هذا السبب الأول يعني-؛ لأن الله (**لاَ سَمِيَّ لَهُ**)، إلى أخره.
- **السبب الثاني**: لأن الله (**أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ**)، والمعنى إذا كان الله أعلم بنفسه؛ فلماذا العدول عن كلامه وقياسه
- **ءؤ** بالعقلية، لماذا الميل والإلحاد عن كلامه الذي أثبت فيه صفاته لنفسه، وتعطيل هذه الصفات؟!

كأننا نقول: معاشر أهل السُنة للمُبتدعة: ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾[البقرة: ١٤٠]، هل أنتم أعلم بالله -سبحانه وتعالى- من الله، إذا زعمتم أنكم أعلم بالله كفرتم، وإذا أقررتم بأن الله أعلم بنفسه منكم؛ فوجب أن تصيروا إلى كلامه عن نفسه، وأن تقفوا عند حد رسم القرآن والسُنة.

ثم الآن شيخ الإسلام يُعلل لهذه العقيدة فيقول:

- لأن الله (لاَ سَمِيَّ لَهُ).
- ثم قال: (ولأنه أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ).
- ثم قال: ولأن الله (وَأَصْدَقُ قِيلاً)؛ وهذا الحقيقة ردٌ على الواقعين في التعطيل؛ لأن مقتضى كلامهم: "اتهام الله في كلامه عن نفسه، وذاته، وصفاته، من جهة العلم والصدق، يعني من تزيَّد على القرآن فإما أنه مُتهمٌ لكلام الله؛ كأنه يقول: إن كلام الله عن نفسه مُجانبٌ للصدق، أو مُتهمٌ كلام الله من جهة العلم؛ كأن الله يعني ليس عالما بنفسه.

فإذا اتفقنا أن الله أعلم بنفسه من غيره، وأنه أصدق قيلًا، وأحسن حديثًا؛ فوجب أن يكون مصدر التلقي عندنا القرآن وأن لا نعدو هذا القرآن إلى غيره؛ ولهذا قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[الصافات ١٨٠:١٨١].

قبل هذه الجُملة قال: (لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ)، وقال: (ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ)، لأنه (أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا)، هذا فيما يتعلق بالله، اللي هو يؤكد عندنا أن مصدر التلقي القرآن.

وعندنا مصدر التلقي أيضًا: السُنة؛ وهذه نص عليها شيخُ الإسلام في قوله: (ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقُون؛ بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ)، يعني من المبتدعة.

إذا أثبتنا أن مصدر التلقي القرآن؛ لأن الله أصدق، ولأن الله أعلم بنفسه، ومصدر التلقي السُنة؛ لأن الرُسل صادقون فيما يُبلغون عن ربهم -سبحانه وتعالى-.

قال بعد ذلك ليُدلل على هذه الجُملة فقال: (وَلِهَذَا قَالَ الله تعالى:{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِين وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصافات: ١٨٠ : ١٨٢])، ينزه الله -سبحانه وتعالى- نفسه عما يصفه به الواصفون.

ثم بعد أن نزه نفسه، وهذا يتعلق بباب الصفات؛ سلم على المرسلين؛ فقال: (﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات ١٨١:١٨٢]).

(فَسَبَّحَ نَفْسَهُ)، يعني نزه نفسه، (عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ)، وخلع التزكية على عباده المرسلين؛ فوصف أن منهجهم هو منهج السلامة.

(فسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلاَمَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ)، وهذه شهادة من الله تعالى لرسله أنهم بلغوا عن الله كل شيء، ومن جملة ما بلغوا عنه -سبحانه وتعالى- ما يتعلق بصفاته -جل جلاله-، فإذا سَلِمَ لنا مصدر التلقي قرآنًا وسُنةً وجب علينا الصيرورة إليه دون غيره.

قال شيخُ الإسلام: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ)، هذه قضية أخرى الآن تطرق لها، بعد أن قرر اعتقاد أهل السُنة في باب الأسماء والصفات؛ أخذ يتحدث الآن أن باب الصفات هذا يشتمل على ركنين أساسيين، الركنان الأساسيان هما:

- الجمع في باب الأسماء والصفات ببين النفي والإثبات كما جمع في الشهادتين بين النفي والإثبات، قال: (فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ.....)، إلى أن قال: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ).

قال: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ)، (فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَالِحِينَ؛ وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ).

(دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ): يعني الكلام السابق؛ في أن باب الصفات جامعٌ بين النفي والإثبات، دخل في هذه الجُملة جملة آيات، بدأ ذكر (الإخلاص) ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١]، ذكر آية الكرسي.

أين النفي والإثبات في باب الصفات؟ إذا أثبتنا لله القوة نفينا عنه العجز –سبحانه وتعالى–:

- إذا أثبتا له القدرة؛ نفينا العجز.
- إذا أثبتنا له القوة؛ نفينا الضعف.
- إذا أثبتنا الحياة؛ نفينا الموت.

باب الصفات مُشتمل على النفي والإثبات، لكننا في النفي ننفي ما نفى الله عن نفسه، وفي الإثبات لنا مسلك آخر، وهو مع نفينا لصفات النقص نُثبت لربنا –سبحانه وتعالى– كمال الضد، يعني كمال صفات الكمال؛ حين ننفي عنه العجز؛ نُثبت له كمال القوة، حين ننفي عنه السِنة والنوم؛ نثبت له تمام الحياة والقيومية، وهكذا.

قال: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ).

سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص١:٤] ، جمعت بين الإثبات والنفي، على وجه السُرعة، وأين الإثبات؟ وأين النفي؟ السؤال لكم؟!

- ✓ إثبات الأحدية.
- ✓ إثبات الألوهية.
- ✓ إثبات الصمدية.

وأين النفي؟ النفي:

- ➢ نفي الوالد.

➢ ونفي الولد.

إذًا مذهب أهل السُنة في باب الصفات:

– أن هذا الباب مُشتمل على النفي والإثبات، نفي صفات النقص عن الله –سبحانه وتعالى– وإثبات كمال أضدادها، هذا من حيث المجمل، الأمثلة عليه كثير، ذكر شيخ الإسلام:

- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١]، التي تعدلُ ثلث القرآن، ففيها:

– إثبات الألوهية.

– وفيها إثبات الأحدية.

– وفيها إثبات الصمدية، ومعنى الصمد؟ الذي تحقق له السؤدد أو الذي لا جوف(٣٧:٠٠) له، أو الذي لم يلد، ولم يولد، أو الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها؛ إذًا أثبتنا لهذه ما الذي نفته السورة؟ نفت عنه:

❖ أن يكون مولودًا لأحد، أو أن يكون والدًا لأحد.

❖ ونفت أيضًا: أن يكون له مُشابه، الذي هو (الكُفء)، أن يكون له مُشابه أو مماثل.

إذًا هذه السورة على قصرها جمعت قاعدة أهل السُنة في باب الصفات: وهو الجمع بين النفي والإثبات.

- كذلك آية الكُرسي على وجه السُرعة– جمعت بين النفي والإثبات.

○ أثبتت لله الألوهية.

○ وأثبتت لله الحياة.

○ وأثبتت لله القيومية.

● ونفت عنه السِنة، السنة: مقدمات النوم، النُعاس.

● ونفت عنه النوم الكامل، إلى آخره.

فالآية العظيمة آية الكرسي جمعت بين النفي والإثبات؛ وفيها أيضًا إثبات القوة: ﴿وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾[البقرة:٢٥٥]، وإثبات العلم إلى آخره.

فالآية جمعت نفي العجز، نعم، الآية جمعت النفي والإثبات، أريد أن نمر بالمجمل؛ وإلا لو وردنا على تفسير آية الكرسي؛ خرجنا من مقاصد الواسطية إلى التفسير.

إذًا أهل السُنة لا يعدلون عن هذا المسلك؛ الذي هو الإثبات والنفي؛ لكن لهم في هذا تفصيلًا، ما هو تفصيل أهل السُنة؟ يقولون: النفي في الغالب مُجمل، والإثباتُ مُفصل، –تنبهوا لقاعدة أهل السُنة، يقولون:

● النفي في غالبه يأتي مُجملًا، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[الشورى:١١]، مثل قوله: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾[النحل:٧٤]،

- أما الإثبات فيأتي مُفصل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[الحديد:٤].

كيف يعني مُجمل ومفصل؟ النفي لما جاء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[الشورى:١١]، نفى مماثلة أي شيء، أما الإثبات: أثبت صفة الاستواء: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، أثبت صفة المعية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[الحديد:٤]، الإثبات مفصل؛ عليه نصوص جاءت فيه صفة صفة، أما النفي؛ فينفي النقائص بالمجمل، ينفي ضرب الأمثال.

إذًا قاعدة أهل السُنة: أن النفي في الغالب مُجمل، والإثبات مُفصل؛ هل معنى هذا أن النفي.. ألا يُمكن أن يأتي النفي مُفصلًا والإثبات مُجملًا أحيانًا؟ بلى، القاعدة: أن النفي في الغالب مُجمل والإثبات مُفصل، لكن قد تخرج بعض النصوص عن هذه القاعدة فأحيانًا يأتي النفي مُفصلًا، والإثبات مُجملًا.

- والدليل على ورود النفي مُفصلًا: قوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾[الجن:٣]، ففصل: ذكر الصاحبة والولد، وكذلك: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص٤:٣]، ففصل في مقام النفي؛ مع أن الغالب أن مقام النفي مُجمل.

- كذلك الإثبات: الذي الأصل فيه أن يأتي مفصلًا، قد يأتي أحيانًا مُجملًا، مثل قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[النحل:٦٠]؛ فهذا إثباتٌ مُجمل.

إذًا بابُ الصفات مُشتمل على نفيٍ وإثبات، **والقاعدة في النفي**: أنه غالبًا يأتي مُجمل، والإثبات يأتي مُفصل، وقد يأتي النفيُ مفصلًا، وقد يأتي الإثباتُ مجملًا.

(ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلةٍ لم ينزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان) هذا استطراد، ذكره شيخ الإسلام لما جاءت مناسبة ذكر آية الكرسي، لكن لا علاقة له في باب الأسماء والصفات، يعني آية الكرسي: ذكرها كمثال على اشتمالها على النفي والإثبات.

قال: **(ومثل وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨]).**

أين النفي هنا والإثبات؟ في هذه الآية في سورة الفرقان، أين النفي وأين الإثبات؟

الإثبات في إثبات صفة الحياة، والنفي: نفي الموت، نعم.

الآن الآيات التي يذكرها؛ إنما هي زيادة في ذكر الأمثلة، قال: **({هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم} [الحديد: ٣]).**

إذًا أثبت لله -سبحانه وتعالى-: الأولية، والآخرية، والظهور، يعني العلو، وأثبت له الخبرة، وهو بكل شيءٍ عليم؛ هذا النص اشتمل فقط على الإثبات.

وقوله: (**وَقَوْلُهُ: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [التحريم: ٢]، {وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [سبأ: ١]، {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} [سبأ: ٢]**).

إذًا النصوص التي يذكرها الآن شيخُ الإسلام نصوص لبيان الإثبات، وبعضها فيها بيان النفي، وبعضها الآخر في إثبات ما ذكرناه آنفًا: أن النفي في الغالب مُجمل، والإثبات في الغالب مُفصل، وقد يأتي النفي مُفصلًا، والإثبات مُجملًا.

قال: (**وَقَوْلُهُ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: ١١]، وَقَوْلُهُ : {وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ} [الكهف: ٣٩]، وَقَوْلُهُ: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ}[البقرة:٢٥٣]**).

كل هذه الآيات بدون التطرق لها يذكرها شيخُ الإسلام لبيان قاعدته في باب الأسماء والصفات؛ وهو الجمع بين الإثبات والنفي، وذكر أن النفي في الغالب مُجمل، والإثبات في الغالب مُفصل، الآيات التي سيذكرها كثيرة جدًّا إلى قوله: (**وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ**)؛ إلى هنا هو يُدلل لهذا.

ذكر كثرة الآيات التي ذكرها قد يُشتت من لم تنتظم عنده عِقد هذه الآيات، هذه أمثلة؛ في باب العلم والدرس قد نكتفي بمثال ومثالين، المهم ألا نغيب عن الأصل الذي سرد لأجله هذه الأمثلة؛ الإغراق أحيانًا في الشرح تغيب معه القاعدة التي ينبغي أن ترسخ، وأما الأمثلة فهي كثيرةٌ جدًّا.

لكن قبل أن ننتهي من هذا الباب لابد أن نذكر القواعد المهمة في باب أسماء الله الحُسنى وصفاته العُلى؛ وهذه جمعها شيخُنا العُثيمين -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- في كتابه العظيم: [القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحُسنى] ونحن نتكلم عن باب الأسماء والصفات لابد من ذكرها:

❖ **القاعدة الأولى في باب الأسماء**: أن أسماء الله كلها حسنى، قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾[الأعراف: ١٨٠].

❖ **أن أسماء الله أعلامٌ وأوصاف**، يعني الله -سبحانه وتعالى- لم يُسمي نفسه بهذه الأسماء عبثًا، وإنما هي علمٌ عليه، أو يشتقُ منها وصف، ويشتق منها وصف:

○ **أعلام: باعتبار دلالتها على الذات**، لما نقول: **العليم**، العليم تدل على الله؛ فهي علمٌ من العلام الدالة عليه، مثل قولنا: **الله**، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، مرادفة لكلمة الله.

○ **وهي أيضًا أوصاف باعتبار دلالتها على المعنى، العليم**: تدل على معنى العلم؛ هذه صفة، **البصير**: على صفة البصر؛ فهي تدل على معنى.

إذًا القاعدة الأولى أن أسماء الله كلها حسنى، أن أسماء الله أعلامٌ وأوصاف.

❖ **القاعدة الثالثة**: أن أسماء الله إن دلت على وصفٍ متعدد تضمنت ثلاثة أمور:

- **ثبوت الاسم**.
- **ثبوت الصفة**: التي يشتملها أو يتضمنها الاسم.
- **الشيء الثالث**: ثبوت الحُكم والمقتضى، بالمثال يتضح المقال:

الله –سبحانه وتعالى– من أسمائه: السميع، السميع هذه تدل على اسم من أسمائه؛ فالله يسمى سميع كما يُسمى: الله، كما يسمى بصير اسم من جملة الأسماء الحُسنى، وهذا الاسم ثبتت به صفة وهي صفة السمع.

- **والأمر الرابع**: أنه ثبت به الحُكم والمقتضى، يعني ثمرة الاسم والصفة ما يتضمنه من المقتضى؛ أن الله يقع في سمعه كلُ شيءٍ يتلفظ به المخلوق.

تقول عائشة: «**سبحان من وسع سمعه الأصوات**» حين جاءت خولة تشتكي زوجها: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا**﴾[المجادلة:١]، قالت: «**إني لفي طرف الحُجرة**»، يعني لا تكاد تسمع الشكايا، ولا كلام النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛ لكن الله سمعه من فوق سبع سماوات، مقتضى ذلك أن الله تعالى يسمعُ سره ونجواه، ويسمعُ حديث نفسه لم يذكر منه ما يقع في سمع الله، والله غير راضٍ عنه.

يعني من آمن حق الإيمان بهذه الصفة أو بمقتضى هذا الاسم؛ لم يقع منه في سمع الله تعالى ما لا يرضاه الله، إذا جاء الإنسان يتكلم واستحضر إيمانه لصفة السمع، وإيمانه بأن الله سميع؛ لا يُمكن أن يصدر منه في سمع الله ما لا يرضاه الله.

❖ **من القواعد في أسماء الله**: دلالة الأسماء على الله، وأنها إما دلالة مُطابقة أو دلالة تضمن، أو دلالة التزام، بالفعل مُطابقة، وكيف تضمن، وكيف التزام؟

من أسماء الله الخالق:

– الخالق دلالتها على ذات الله –سبحانه وتعالى– دلالة مُطابقة.

– ولما نقول: دلالتها على ذات الله –سبحانه وتعالى–، وعلى صفته، يعني الخالق: تدل على الذات، وتدل على الصفة؛ فإذا جمعت في الدلالة بين الذات والصفة، بين ذات الله تعالى؛ إذ الخالق اسم من أسمائه، وبين صفة الخلق؛ فهي دلالة مُطابقة.

– وإذا دلت على الذات وحدها فقط؛ فهي دلالة تضمن.

– وإذا دلت على صفة الخلق وحدها؛ فإنها يستلزم من هذه الصفة صفات أخرى، يعني لم يكن خالقًا إلا وقد علم، لم يكن خالقًا إلا وقد قدر؛ فيستلزم من إيمانه بصفة الخلق لله –سبحانه وتعالى–؛ يستلزم منه إيمان بقدرته،

وبعلمه، وبمشيئته –سبحانه وتعالى–، فالعلم والقدرة ما علاقتهم باسم الخالق؟ علاقتهم: أنهم من مقتضيات الخلق؛ فبالتالي الخالق وحدها مُجردة تدل عليهم بطريق الالتزام، من لازم كونه خالقًا: أن يكون عالمًا، وأن يكون قادرًا.

يعني لما نقول: أن الخالق في دلالتها على الذات وعلى الصفة؛ هذه دلالة مُطابقة، الخالق كاسم من أسماء الله الحُسنى؛ إذا أردنا أن تدل على الذات وحدها، أو على صفة الخلق وحدها هذه دلالة تضمن، إذًا حين تجمع بين الذات والصفة هذه دلالة مُطابقة، على واحدة منهما دلالة تضمن، على ما يستلزم هذا الاسم من الصفات الأخرى هذه دلالة استلزام أو التزام، الخالق لا يكون خالقًا إلا وهو عالم، إلا وهو قادر، إلا وهو يشاء؛ فبالتالي علاقة العلم والقدرة والمشيئة بالخلق؛ أنها من مستلزمات صفة الخلق له –سبحانه وتعالى–.

❖ **من القواعد في أسماء الله: أن أسماء الله توقيفية**، ومعنى توقيفية: أنه لا سبيل إلى العقل لإثباتها، الإنسان لا يخترعُ من نفسه لله تعالى اسمًا، وإنما يُسمي الله بما سمى الله به نفسه، أو سماه به رسوله، فهي توقيفية نقف عند السمع، ولا نعدوه لا للقياس ولا لغيره.

❖ **ومن القواعد: أن أسماء الله غير محصورة بعدد**، وحديث: «**إن لله تسعةً وتسعين اسمًا**»، لا يدل على الحصر؛ وإنما يُبين النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أن من أسماء الله الغير محصورة تسعة وتسعين من أحصاها كان له كذا وكذا.

– والدليل على أنها غير محصورة أكثر من نص، يدل على أنها غير محصورة قوله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في الدعاء: «**أسألك بكل اسمٍ هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»؛ فهذا يدل على أنها غير محصورة.

– ومما يدُل أيضًا أن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في سجدة العرش قال: «**فيفتح الله عليَّ بمحامد ومثاني لم أكن أعرفها في دار الدُنيا**».

هذه قواعد الأسماء، أما قواعد الصفات:

➢ **أولًا: القاعدة الأولى**: أن صفات الله كُلها صفات كمال لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، صفاته صفات كمالٍ ما فيها نقص بوجه من الوجوه.

➢ **القاعدة الثانية**: أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ لأن كل اسم مُتضمن لصفة؛ فمن الصفات ما يتعلق بأفعال الله، وأفعاله لا تنتهي؛ فلذلك باب الصفات أوسع من باب الأسماء، كيف يعني أوسع؟ يعني نستطيع أن نصف الله –سبحانه وتعالى– بحسب أسمائه؛ لأن الاسم عادةً يتضمن صفة، لكن لا نستطيع من أفعال الله أو صفاته أن نشتق اسمًا؛ بالمثال يتضح المقال:

من صفات الله ما يتعلق بأفعاله، مثل: المجيء، النزول، الاستواء، فهل يقال مثلًا: المستوي يعني كاسم؟ لا، لا يمكن، هل يُقال الجائي؟ لا يمكن، الآتي؟ لا يُمكن، الممسك؟ لا يُمكن.

لكن باب الصفات أوسع نستطيع أن نصف الله -سبحانه وتعالى- من قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾[الحج:٦٥]، فنقول: الله -سبحانه وتعالى- من صفاته: أنه ممسك، من باب الإخبار بالصفة، لكن لا نستطيع أن نجعله اسمًا من أسمائه؛ لأن أسمائه توقيفية، فباب الصفات إذًا أوسع من باب الأسماء، والقاعدة: أن الصفات تتعلق بالأفعال، وأفعال الله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها.

إذًا:

- **القاعدة الأولى:** صفات الله صفات كمال لا نقص فيها.
- **القاعدة الثانية:** باب الصفات أوسع من باب الأسماء.
- **القاعدة الثالثة:** صفات الله تنقسم إلى قسمين: إما ثبوتية، وإما سلبية

- **الثبوتية:** ما أثبته لنفسه في كتابه، أو أثبته له نبيه في صحيح سنته، أثبت لنفسه: الحياة، والعلم، والقدرة.
- **السلبية:** ما نفاه الله عن نفسه، والذي نفاه الله عن نفسه: العجز، اللغوب، النسيان، النوم، السِنة، الموت.

الصفات الثبوتية أثبتناها واعتقدنا كمالها، الصفات السلبية ننفيها مع اعتقادنا بكمال ضدها له -سبحانه وتعالى-.

- **من القواعد في باب الصفات أيضًا:** أن الصفات الثبوتية إما ذاتية، وإما فعلية.

- **الذاتية:** هي التي لم يزل ولا يزال الله متصفًا بها، العلم: الله متصف بالعلم في كل وقت، ومتصف بالقدرة في كل وقت، متصف بالحياة؛ لا تنفك عنه الحياة -سبحانه وتعالى-.
- **أما الصفات الفعلية فهي المُتعلقة بالمشيئة،** يعني يفعلها الله -سبحانه وتعالى- إذا شاء، ينزلُ ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يعني يفعلُ النزول حين يشاءه -سبحانه وتعالى-، والاستواء: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، إلى آخره؛ فهذه الصفات تسمى صفات فعلية.
- **أما الصفات الذاتية: فهي صفات لا تنفكُ عنه،** هو **حي** -سبحانه وتعالى-، هو **عالم** -سبحانه وتعالى-، **عليم،** لا ينفكُ عنه الحياة، ولا تنفك عنه القدرة، ولا ينفكُ عنه العلم.
- **وقد تكون الصفة ذاتيةً وفعلية؛** فالله يوصف بأنه مُتكلم، والله يتكلم إذا شاء: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف:١٤٣]، فالله يتكلم متى ما شاء، والله موصوف بأنه مُتكلم.

- **من القواعد في باب الصفات:** أنه يلزم من إثبات الصفات: التخلي عن التمثيل، والتكييف، والتحريف، والتعطيل، والإلحاد كما مر معنا في إثبات عقيدة أهل السُنة في باب الصفات.
- **والقاعدة السادسة:** أن صفات الله توقيفية كذلك لا مجال للعقل في إثبات صفةٍ لم يُثبتها الله -سبحانه وتعالى- لنفسه، ولم يُثبتها له نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وانتهت ساعتنا إلى هذا الحد، نسأل الله -جل وعز- أن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا هدىً وبصيرةً، وعلمًا، اللهم يا مُعلم إبراهيم علمنا، ويا مُفهم سُليمان فهمنا، اللهم يسر لنا العسير، وذلل لنا الصعب، واجعل قليلنا مُباركًا، وارزقنا من الكثير إنك على كل شيءٍ قدير، والحمد لله رب العالمين.

بقي أن الطريقة التي نحاول أن نسير عليها هي حلحلة المتن إلى أن يكون كلامًا سرديًا مُتسقًا؛ لأننا سرنا في المتن بذكر الآيات والنصوص الطويلة يعني مثلًا في هذا الباب، ذكر سيخ الإسلام: ({وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦])، يريد أن يُثبت صفة الكلام.

({وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ٧٥]). إثبات صفة الكلام.

({يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ} [الفتح: ١٥])، يعني هو يذكر أكثر من نص لإثبات قضية واحدة، فلو وقفنا مع كل نص فات المقصود.

({وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} [الكهف: ٢٧]. وَقَوْلُهُ: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [النمل: ٧٦]).

فأنا أحيانًا سأتجاوز الأمثلة الكثيرة، والنصوص الكثيرة التي يريد منها أن يدلل على قاعدة واحدة، وأركز على هذه القاعدة، ونكتفي بمثال ومثالين، ونمر على ما يستحق الشرح، جزاكم الله خير والملتقي الأسبوع القادم إن شاء الله.

تم إلقاؤه يوم السبت ٢٥ جمادى الآخر ١٤٤١ هـ الموافق ٢٠٢٠\٢\١٩